٢ مَعْركة رِئاسَة وَمَصير

— ١ —

كان الحصار الخانق الذي تضربه إسرائيل حول بيروت الغربية في ذروته يوم صعّدت هجماتها على المدينة الصامدة برًّا وبحراً وجوًّا.

كان ذلك في الثاني عشر من آب (أغسطس) ١٩٨٢ . فما انقضى النهار إلا والإذاعات تبث إعلانين: إعلان وقف إطلاق النار وإعلان دعوة مجلس النواب لانتخاب رئيس للجمهورية.

روت جريدة «السفير» في اليوم التالي ما حفل به ذلك اليوم في تقرير قالت فيه: على امتداد ١١ ساعة كاملة، ومن خلال ٢٢٠ غارة جوية و ٤٤ ألف قذيفة، حاولت قوات الغزو الإسرائيلية تدمير بيروت وإلغاء الحياة فيها، إلا أنها أسقطت عدداً كبيراً من الضحايا بين قتيل وجريح وحطمت كثيراً من المنازل في بيروت والمخيمات. وبقيت بيروت برغم ذلك كله تنبض بالحياة والصمود مقفلة الأبواب في وجه الغزاة.

وجاء على لسان الناطق العسكري باسم القيادة المركزية للقوات المشتركة، الفلسطينية واللبنانية، أن ٦٤ طائرة حربية شنّت، على امتداد ١١ ساعة، ٢٢٠ غارة، ألقت خلالها عشرات آلاف الأطنان من القنابل على ١٨ موقعاً في بيروت وضواحيها. وبلغ عدد القنابل التي ألقيت على الأحياء السكنية

والمخيمات ٤٣٦٠٠ قنبلة وصاروخ، فصّلها الناطق العسكري كما يلي: ٦٠٠ قنبلة من عيار ٥٠٠ رطل، وألف قنبلة من عيار ٣٥٠ رطلاً، ألقتها الطائرات، ١٢ ألف قذيفة مدفعية من البحر، و ٣٠ ألف قذيفة وصاروخ من المدفعية والراجمات البرية.

هذه الأرقام قد تفتقر إلى الدقة. فلم يكن ثمة سبيل للإحصاء الدقيق لِما كان يسقط على بيروت من القذائف المتلاحقة. ولكن حجم الأرقام المذكورة ينمّ عن هول ما كانت المدينة الصامدة تواجِه من جحيم حمم القتل والتدمير المنهمرة عليها، حسبما تراءى للمحاصَرين في بيروت.

وقد أُحصي من بين ضحايا القصف الهمجي، حسبما جاء في أخبار بعض الصحف، ٣٠ شهيداً و ٩٠ جريحاً انتُشلوا من تحت أنقاض الأبنية المنهارة، نُقل منهم خمسة شهداء و٤٣ جريحاً إلى مستشفى الجامعة الأميركية.

وكانت قوات الغزو قد بدأت منذ فجر ذلك النهار قصفاً متقطعاً من البوارج البحرية والدبابات ومدفعية الميدان الثقيلة على أحياء بيروت والضاحية امتداداً من الشاطىء بين الرملة البيضاء والأوزاعي حتى المتحف شرقاً ومحاور الضاحية جنوباً. وفي السادسة صباحاً بدأ الطيران الإسرائيلي غاراته على الأحياء السكنية ومواقع القوات المشتركة، واستمرت هذه الغارات حتى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، ورافقتها عمليات قصف كثيف ومركّز من البوارج ومدفعية الميدان. كما أعقبتها خروقات كثيرة لوقف النار. واستخدمت الطائرات المعتدية القنابل المحرقة والعنقودية والانشطارية. وتميّزت الغارات الجوية ذلك النهار باستعمال الطائرات المُغِيرة رشاشاتٍ ثقيلة من عيار ٨٠٠ ملم مشّطت بها المخيمات والأحياء.

وكان الناطق باسم الجيش الإسرائيلي قد أعلن عند الواحدة والنصف من ظهر ذلك النهار العصيب «أن طائرات سلاح الجو وسفن سلاح البحرية الإسرائيلية تواصل قصف مواقع المقاتلين (اللبنانيين والفلسطينيين) بما في ذلك مواقع مدفعية الميدان ومدافع الهاون والكاتيوشا في الضاحية الجنوبية من

بيروت». وقالت الإذاعة الإسرائيلية نقلاً عن مراسلها: «إن الطائرات الإسرائيلية شنّت الغارة تلو الغارة بمعدل غارة كل دقيقتين، وألقت آلاف القذائف على معسكرات اللاجئين ومخيماتهم في جنوبي المدينة وساحة جامعة بيروت العربية حيث تقوم مكاتب عدة. وفي ساعات الظهيرة تعزز القصف الجوي بقصف الدبابات والمدفعية الإسرائيلية».

وصدر بنهاية ذلك النهار الأسود بيان عن البيت الأبيض في واشنطن، تلاه الناطق الأميركي لاري سبيكس، وجاء فيه: «لقد صُدم الرئيس ريغان بما تلقّى صباح اليوم (بتوقيت واشنطن) من أنباء القصف الإسرائيلي العنيف على بيروت الغربية. ونتيجة ذلك أجرى الرئيس اتصالاً مع رئيس وزراء إسرائيل، مناحيم بيغن، في شأن القصف والهجمات الأخيرة ضد المدينة. وأعرب الرئيس عن غضبه حيال هذا الهجوم الشامل. وركّز على أن هذا الهجوم الإسرائيلي قد عطّل المفاوضات التي كان يجريها السفير فيليب حبيب توصلاً إلى حلٍّ يعيد السلام إلى المدينة، بعد أن قاربت هذه المفاوضات نقطة النجاح. ولقد نتج عن هذا العمل العسكري المزيد من الخراب وسفك الدماء بلا موجب. وأوضح الرئيس (ريغان) أن من الضروري أن يتمّ التقيد بوقف إطلاق النار على الخطوط الحالية بصورة مطلقة لكي تتقدّم المفاوضات». وأضاف البيان الأميركي: «نحن ندرك أن مجلس الوزراء الإسرائيلي قد وافق على وقفٍ لإطلاق النار، وهو ساري المفعول حاليًّا ويجب التقيّد به».

وخلال ذلك اليوم الرهيب وافق مجلس الأمن الدولي بالإجماع، في جلسة طارئة عقدها بناءً على طلبٍ عاجل من الاتحاد السوفياتي، على مشروع قرار حول لبنان يدعو إلى احترام وقف إطلاق النار في بيروت ورفع الحصار عنها ونشر مراقبين دوليِّين فيها. وقد بُني القرار على مشروعٍ تقدّمت به بعض دول حركة عدم الانحياز، وإنما بعد تعديل أُدخل عليه يستبعد إدانة إسرائيل مباشرة.

كان ذلك اليوم العصيب ـ ولعلّه كان الأعنف في سِفْر الحرب الإسرائيلية على لبنان ـ هو اليوم الوحيد الذي لجأتُ فيه وعائلتي خلال فترة الحصار إلى الملجأ اتقاءً للقصف.

كنا خلال تلك الفترة نتنقل من بيت مستعار إلى بيت مستعار آخر. حللنا أولاً في بيت شقيقتي في محلة زقاق البلاط، ولكننا لم نُطِل المقام فيه نظراً إلى أنه، كما المنطقة المحيطة به برمّتها، مكشوف على مصادر النيران في بيروت الشرقية وضواحيها. وقد أصيب فعلاً غير مرة بشظايا القذائف المتطايرة، ثم أصيب إصابة مباشرة جسيمة فيما بعد، إبّان ما سُمّي «حرب التحرير» التي شنّها العماد ميشال عون على الشطر الغربي من العاصمة في العام ١٩٨٩، فكان على شقيقتي على الأثر هجر هذا البيت.

وحللنا لفترة من الزمن في منطقة الروشة، في منزل الصديق أكرم مكناس، المقيم في البحرين، ثم في ناحية أخرى من المنطقة إياها، في منزل صديق طيّب من آل العيتاني كان آنذاك وعائلته خارج البلاد. وشغلنا أخيراً الطابق الثالث من مبنى في منطقة زقاق البلاد يعود لابنة خالتي في مواجهة قصر هنري فرعون، وكانت هي تشغل الطابق الأول. وفي امتداد لذلك المبنى داخل الحديقة يقوم ركن حصين حوَّلَتْه صاحبة المبنى ملجأً خلال فترة الأحداث. فَلُذْنا إليه جميعاً، وقضينا النهار مستسلمين لدويّ الصواريخ والقذائف الذي ما كان ينقطع. وكان أكثر القذائف صعقاً لنا تلك التي كانت تستهدف برج المر الشاهق ـ وكان هيكلاً من الإسمنت غير مُنْجَز ـ على مقربة من مكان إقامتنا. فكلما سقطت قذيفة على البرج المنيع كان وقعها على آذاننا صاعقاً، وكانت جدران الملجأ تهتز لصداها.

وكان الملجأ يغصّ بنا. كان بين اللائذين إليه ابنة خالتي صاحبة المبنى، وابنة خالةٍ لي أخرى ومعها زوجها وحفيدها، وكان زوجها مُسنّاً شبه مقعد، واهن القوى وإحدى رجليه مكسورة، وكان معنا كذلك شقيقتاي، ومع إحداهما زوجها وولداها وابنتها وحفيداها. وكانت إحدى شقيقتيّ تقيم في منطقة رأس النبع المتاخمة لخطوط المواجهة بين شطري العاصمة، فقصدْتُها قبل ثلاثة أيام وفرضْت على صهري فرضاً مغادرة المكان إلى المبنى الذي كنا انتقلنا إليه في محلّة زقاق البلاط طلباً للأمان. فما انقضى ثلاثة أيام على انتقال شقيقتي وعائلتها حتى تعرّض المبنى الذي اقتلعتُهم منه اقتلاعاً إلى قصفٍ إسرائيلي من الجو فإذا به مسطّح على الأرض، لم يبق منه إلا فتات الحجر. لم يبق حائط

منتصباً، أو بعض حائط. ففقدوا فيه كل ما كان لديهم من مقتنيات خاصة. وما أسفوا على شيء منها كما أسفوا على الصور العائلية التي أودعوها كل ذكريات حياتهم. .

وطوال وجودنا في الملجأ كان رفيقنا جهاز راديو صغير نواكب من خلاله تطورات الموقف كما كانت تتناقله الإذاعات المحلية من شطري العاصمة. فما خرجنا من الملجأ إلا بعدما سمعنا الإعلانين: إعلان وقف إطلاق النار وإعلان دعوة مجلس النواب إلى انتخاب رئيسٍ للجمهورية.

أعلن الدعوة رئيس مجلس النواب، الرئيس كامل الأسعد، إثر اجتماع عقدَتْه هيئة مكتب المجلس برئاسته، في منزله في منطقة الحازمية، على ربوة مطلّة تقع في الجانب الشرقي من العاصمة. وحدد موعد جلسة الانتخاب بعد أسبوع واحد، أي قبل ظهر الخميس القادم، في ١٩٨٢/٨/١٩. وكانت القوات الإسرائيلية الغازية قد احتلت المنطقة المحيطة بمقر مجلس النواب، قصر منصور، قبل يوم واحد.

لاحَ لنا وكأنما التزامن بين الإعلانين لم يكن مجرّد مصادفة. بدا لنا وكأنما الهجمة الهمجية التي شنّتها إسرائيل ذلك اليوم المشؤوم على المدينة الصامدة لم تكن إلا لترويض الإرادة الوطنية وحملها على الرضوخ لإجراء الانتخابات في ظرف كانت إسرائيل تستطيع فيه التحكّم بالنتيجة، وكان مرشح إسرائيل معروفاً: هو الشيخ بشير الجميل.

خرجنا من الملجأ في حالٍ من الإنهاك الشديد. وقد أدليت على الأثر بتصريح صحافي كان ينمّ عن مدى العناء الذي تعرّضنا له. فقلت: «هذا القصف المجنون لا نستطيع أن نجد له تفسيراً إلا أن إسرائيل مُصمِّمة على تدمير بيروت الوطنية وفرْض واقعٍ على لبنان يتفق مع مآربها التي تستهدف تمزيق اللبنانيين وتقسيم لبنان. أما المحادثات التي تتوالى فصولاً، يوماً بعد يوم، فلم تعد تعني في ظل هذا الواقع، إلا أحد أمرين: فإما أن إسرائيل تسخر من أميركا، أو أن أميركا تسخر منا. وفي كل الأحوال فإننا نحمّل أميركا، وأميركا بالذات، مسؤولية ما يحصل من مجازر رهيبة على أرضنا، يُراق فيها دم الأبرياء

مدراراً، وتزهق فيها أرواح الآمنين بلا حساب، وتُدمّر فيها معالم العمران بالجملة أميركا مسؤولة عن المجزرة البشرية التي تُنفَّذ في لبنان من حيث إنها هي التي تُمِدُّ إسرائيل بالأسلحة المتطورة التي تُستخدم في وجهنا وفوق رؤوسنا، وهي التي تُمِدُّ إسرائيل بالدعم المادي في شتى أشكاله، وهي التي تُساند إسرائيل سياسيًّا ودبلوماسيًّا على كل المستويات الدولية، داخل الأمم المتحدة وخارجها. فمن حقِّنا أن نتساءل عما إذا كانت إسرائيل هي العدو الذي يستقوي بأميركا، أو أن أميركا هي العدو الذي يتستّر بإسرائيل».

وقال رئيس مجلس الوزراء، الرئيس شفيق الوزان، للصحافيين مهدّداً بوقف المفاوضات: «لقد أبلغت فيليب حبيب أنه قد يتعذّر علي. لا أستطيع، لا أستطيع أن أستمرّ في المحادثات في مثل هذه الأجواء».

كنا قبل حين، عندما ثبت لنا أن ثمة اتجاهاً ترعاه الولايات المتحدة الأميركية وتتعهده إسرائيل يقود حتماً إلى انتخاب الشيخ بشير الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية، فتقطف به إسرائيل ثمرة اجتياحها، شرَعْنا في التكوكب حول الرئيس صائب سلام في منزله، في لقاءات شبه يومية، سعياً لقطع الطريق على هذه النتيجة.

وكان بشير الجميل، مع بداية الفترة الدستورية للانتخابات الرئاسية، أعلن ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية من خلال صوت لبنان، إذاعة حزب الكتائب، بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢٤، مُحذّراً من «أية محاولة لتعطيل نصاب جلسة الانتخاب، لأن الخطر اليوم على هوية لبنان، وليس على وحدته».

زرت ذلك اليوم رئيس مجلس النواب كامل الأسعد، وعلى الأثر أدليتُ بموقف قلت فيه: «إن موضوع الانتخاب هو من أهم المواضيع التي تواجهنا في هذه المرحلة، إذ على نتيجته تتوقّف إلى حدٍّ بعيد رؤية المستقبل اللبناني ليس فقط لِستّ سنوات قادمة وإنما لأجيالٍ وأجيال. إننا نريد رئيساً يستطيع قيادة المرحلة لتحقيق أماني اللبنانيين جميعاً في إزالة الاحتلال الإسرائيلي بكل أبعاده ونتائجه ومظاهره، وفي إعادة توحيد لبنان واللبنانيين، في إطارٍ من الطمأنينة والعدالة والحرية. لذلك فإن الرجل المطلوب يجب أن يكون فوق

الخلافات وفوق النزاعات وفوق الانقسامات التي مزَّقت لبنان. فلا هو من أطرافها ولا هو من إفرازاتها ولا هو من انعكاساتها».

وفي اليوم التالي توالت المواقف من شتى القيادات المقيمة في بيروت الغربية، وكلها ترفض ترشيح بشير الجميل وتُحذِّر من عواقبه. وكان أبرز المتحفّظين من الزعماء المسلمين على ترشيح بشير الجميل الرئيس صائب سلام. فكان موقفه مؤثّراً وحاسماً.

وفي ١٩٨٢/٧/٢٨، كان لي في الصحف كتاب مفتوح موجَّه إلى الشيخ بيار الجميل، والد بشير، تعقيباً على ندوة عقدها الشيخ بشير في «بيت المستقبل» وأعلن فيها نهائيًّا ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية. جاء في هذا الكتاب المفتوح:

«نحن اليوم جميعاً على المحكّ بين أن نكون للبنان أو نكون لأنفسنا.

وفي مخاطبتك هنا أقول: إذا كنا اليوم على أبواب النهاية لمحنة ماحقة نعيش اليوم ذروتها، بعد ثماني سنوات من النزف الرهيب، فإن التاريخ سيسجّل ما إذا كانت هذه الحرب من أجل وطن، أو من أجل حزب.

سمعنا نجلَك الشيخ بشير يقول ما معناه إن الوقت قد حان ليتحرر حزب الكتائب من عقدة العزوف عن تولّي الحكم والاكتفاء بالمشاركة فيه، وأن سعيه إلى الرئاسة الأولى هو تعبير عن الانعتاق من هذه العقدة. فإذا ذكرنا أن الكتائب ليست كل لبنان، وأن الكتائبيين ليسوا كل اللبنانيين، وأن مشروع الكتائب لا يعبِّر عن قناعات كل اللبنانيين، إذا ذكرنا كل ذلك فكيف توفّقون بين دعوتكم إلى الوفاق، وأنتم ستكونون حتماً طرفاً فيه، وبين سعي نجلك الشيخ بشير إلى الرئاسة باسم الحزب؟ هل تتوخّون الجمع بين صفة الخصم وصفة الحَكَم (بفتح الكاف) في عملية الوفاق المنشود في المستقبل؟

قد تقول لي إنكم تخوضون معركة ديمقراطية، والكلمة في النتيجة لحكم الأكثرية.

أية ديمقراطية يا شيخ بيار تقصدون في ظل احتلال إسرائيل لمساحات شاسعة من أرض لبنان ومحاصرة نصف عاصمته فيما يُسام أهلها الأُباة

الصامدون شتى ألوان التنكيل والعذاب تحت وطأة الحصار الخانق.

أية ديمقراطية يا «شيخ» بيار وقوّات حزبكم، الذي أعلن نجلُك الشيخ بشير ترشيح نفسه باسمه، تنتشر مع قوات الاحتلال في كل مكان دخلَته، فكاد احتلال الأرض يتحوّل احتلالاً للإرادة؟

كنا نسمع منكم إصراراً على رفض القاعدة العددية، والتغني بالتعددية. فإذا بنا اليوم نسمع إصراراً على الاحتكام إلى الأكثرية في مجلس النواب. هل تصرّون يا شيخ بيار على حكم الأكثرية، ولو جاءت الأكثرية نتيجة الإرهاب الذي يمارَس على بعض النواب؟ هل تصرّون على حكم الأكثرية، ولو كان في نتيجة هذا التحكيم الشكلي قهر للآخرين؟ هل يعني إصراركم على الاحتكام إلى الأكثرية هذه المرة، ولو كانت مصطنعة، قبولكم بحكم الأكثرية في كل شؤون المصير بعد اليوم، وبالتالي تخلّيكم عن فكرة التعددية. هذا مع التأكيد أننا نعتبر انتخابات الرئاسة هذه المرة شأناً مصيريًّا!

لقد شهد لبنان انتخابات رئاسية في الماضي، ولكنه لم يشهد معركة انتخابية حقيقية داخل المجلس النيابي سوى مرة واحدة منذ الاستقلال على ما نعلم. فكانت طبخة الانتخاب تحضَّر خارج المجلس ليأتي الرئيس وليد إجماع أو شبه إجماع بأصوات النواب داخل المجلس. لماذا كان ذلك الحرص على الإجماع في زمن كانت فيه حرية التعبير معافاة، ولا يكون مثله اليوم ونحن في زمن تبدو فيه الإرادة رهينة الإرهاب؟

هذا ما نتمنّاه: إننا نتمنى أن نتعاون يا شيخ بيار مع نخبة مخلصة من وجوه المجلس النيابي، بقيادة الرئيس كامل الأسعد، في التفاهم على مرشح إجماع تلتقي حوله إرادات اللبنانيين من مختلف الفئات، ويكون لجميع اللبنانيين من غير تفريق أو تمييز، وذلك إنقاذاً للوطن من مغبّة الوقوع في منزَلق الإصرار على فرض صيغة غالب ومغلوب تقضي على مرتكزات الوطن اللبناني. وهذا في وقتٍ لا غالب فيه من اللبنانيين في حقيقة الأمر ولا مغلوب.

وإننا على يقين من أنكم ستتجاوبون».

لم أتلق بالطبع جواباً على هذه الرسالة، ولم يكن لها أدنى صدى.

— ٢ —

مع تصاعد الحملات السياسية ضد ترشيح بشير الجميل للرئاسة، أخذت إسرائيل تصعّد وتيرة هجماتها وقصفها على المدينة المحاصرة، برًّا وبحراً وجوًّا. وإمعاناً في شد الخناق على العاصمة اللبنانية الأبيّة، قطعَت القوات الغازية الماء والكهرباء كليًّا عن أهلها فجعلتْهم في حالٍ من الضنك الشديد. فكانت المراجعات تتوالى على المبعوث الأميركي الخاص، فيليب حبيب، القابع في دارة السفير الأميركي على قمة ربوة في منطقة اليرزة، تطلّ على بيروت برمّتها، من أجل التدخّل لإعادة المياه إلى أنابيب الأحياء العطشى. ولقد بادر إلى هذه المراجعات عدد من القيادات المحاصَرة، وكنت من بينهم، كما كان مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد، وكذلك الرئيس صائب سلام، الذي كان يتصدّر معركة الصمود بحركة دائمة مشهودة وبكفاءة عالية. ولقد أقدَمت القوات الغازية غير مرة على اعتراض شاحنات المؤن والدقيق، وحتى الأدوية، التي كانت أحياناً تحاول الدخول إلى المدينة المحاصَرة. فينبري رجال السياسة، المقيمون في هذه المدينة، إلى مراجعة المبعوث الأميركي للإفراج عنها. فكانت هذه المساعي تُكلَّل بالنجاح حيناً وتُمنى بالفشل أحياناً. وكان بعض المواطنين أو ذووهم يضطرون إلى التنقل من المدينة وإليها، فكانوا يغامرون بذلك مترجّلين. وقد سجلّت تلك الفترة حالات كثيرة كانت فيها «القوات اللبنانية»، المنضوية تحت لواء بشير الجميل، تعترض سبيل المشاة الوافدين على مداخل الشطر المحاصَر من العاصمة فتصادر رزمَ الخبز وسائر المواد الغذائية وقوارير الماء التي يحملونها، وكانت عناصرها أحياناً كثيرة تقوم بإتلاف المواد المصادَرة على مرأى من أصحابها.

في ١٩٨٢/٧/٢٧، قام المبعوث الأميركي فيليب حبيب بزيارة إسرائيل للتباحث في تطورات الوضع اللبناني مع كبار المسؤولين فيها. وقد تناول في محادثاته تلك، حسبما جاء في التقارير، وسائل إنهاء الحرب في لبنان، ومن ضمنها احتمال انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية، كما من ضمنها إمكانية ترحيل المقاومة الفلسطينية من بيروت إلى إحدى الدول العربية. ولقد ذكر من

بينها تونس والسودان واليمن وسوريا.

وكان مجلس جامعة الدول العربية قد انعقد على مستوى وزراء الخارجية في جلسة طارئة وشكّل لجنة سداسية لمتابعة الوضع في لبنان والسعي لإيجاد الحلول الناجعة لأزمته، قوامها وزراء خارجية لبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية والجزائر والكويت ورئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد ترأس الاجتماع الأول لهذه اللجنة في جدّة وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢٧، وصدر عن اللقاء بيان من ست نقاط هي: العمل على التقيّد بوقف إطلاق النار، أخذ العلم بقرار منظمة التحرير الفلسطينية سحب قواتها من بيروت على أن تتفق المنظمة مع الحكومة اللبنانية حول ضمان انتقال هذه القوات وضمان أمن المخيمات، العمل على رفع الحصار عن مدينة بيروت وضواحيها بانسحاب القوات الإسرائيلية، دعوة الحكومة اللبنانية إلى اتخاذ جميع الإجراءات الآيلة إلى ضمان أمن وسلامة سكان بيروت وضواحيها بما فيها المخيمات الفلسطينية، إشراك القوات الدولية في عملية ضمان الأمن والسلامة في بيروت وضواحيها، العمل سياسيًّا لمساعدة لبنان على تنفيذ قرارَي مجلس الأمن الدولي ٥٠٨ و ٥٠٩ تنفيذاً كاملاً. كل ذلك مع تأكيد اللجنة عزم الدول العربية على مواصلة العمل من أجل إنهاء العدوان الصهيوني على الأراضي اللبنانية ووضع حدٍّ للمأساة التي يعيشها الشعبان اللبناني والفلسطيني، وذلك بالمباشرة في التحرّك على المستوى الدولي وعلى الصُّعُد الأخرى كافةً.

وصدر في اليوم ذاته قرار عن مجلس الأمن الدولي قضى برفع الحصار عن بيروت فوراً والسماح بإدخال المساعدات الإنسانية إلى السكان المدنيين. وقد حزَّ في النفوس أن مندوب الولايات المتحدة امتنع عن التصويت إلى جانب القرار.

وكان ردّ إسرائيل على هذه المواقف تصعيداً رهيباً في عملياتها الحربية ضد بيروت الغربية على امتداد يومين متتالين، فكثّفت قصفها البري والبحري وغاراتها الجوية فأحدثت الكثير من الدمار والخراب وعمّقت حال المأساة التي

كان يعيشها المقيمون في المدينة. ولقد قمت على الأثر بجولة تفقّدية على المناطق التي تعرّضت للعدوان المتجدد، بما فيها أحياء المزرعة والطريق الجديدة والروشة وبرج أبي حيدر. وكذلك فعل الرئيس صائب سلام. ولكن إسرائيل ما لبثت أن استأنفت عملياتها العسكرية الماحقة بلا هوادة.

تسلّم المبعوث الأميركي فيليب حبيب من رئيس مجلس الوزراء، الرئيس شفيق الوزان، نصًّا مكتوباً لبرنامج زمني لترحيل رجال المقاومة الفلسطينية وتسلُّم القوات الدولية مواقع انتشارها المرسوم حول العاصمة بناءً على قرار مجلس الأمن الدولي الذي قضى بإرسالها. وكذلك فعلَت منظمة التحرير الفلسطينية من جانبها في اليوم التالي.

كان الرئيس صائب سلام خلال كل تلك الفترة يقوم باتصالات مكثّفة مع المبعوث الأميركي ومع رجال الحكم في لبنان ويتابع التطورات عن كثب مع الرئيس الوزان بصورة شبه يومية. وكان جهده في هذا السبيل مشهوداً ومتميّزاً.

وفي ١٩٨٢/٨/٨، حملت الصحف في عناوينها الكبرى تباشير الاتفاق على صيغة حلٍّ وشيك بين لبنان والجانبين الفلسطيني من جهة والأميركي من جهة ثانية. فتقدّمت الحكومة اللبنانية على الأثر بطلبٍ رسمي من الدول المعنية بإرسال قوات أميركية وفرنسية وإيطالية إلى بيروت للسهر على حسن تنفيذ ما اتُّفِق عليه.

علّق الرئيس صائب سلام في ١٩٨٢/٨/١٣، على دعوة الرئيس كامل الأسعد المجلس إلى عقد جلسة انتخاب رئيس الجمهورية فقال: «إن المهم ليس مجرّد تنفيذ نصوص الدستور، وهي مقدسة، بل الأهم أن نحرص على التقيّد بها ضمن المُدد المنصوص عنها، وهي لا زالت فسيحة أمامنا». وقال: «استغربت مثل كثيرين غيري هذه الدعوة تصدر أمس بالذات، وفي أيام الحصار الخانق التي لا زلنا نصمد فيها، وبصورة خاصة خلال تلك الساعات الطويلة المريعة والمحزنة التي كان يعيشها في الأقبية والملاجىء من تبقّى من أبناء بيروت الصابرين الصامدين...». وأردف يقول: «إن الظروف الحاضرة والأجواء السائدة تجعل من المتعذّر القيام بهذا الواجب».

وأصدرتُ مع الصديق مالك سلام بياناً مشتركاً في ١٩٨٢/٨/١٤، دعَوْنا فيه مجلس النواب إلى الإقلاع عن عقد جلسة انتخابية قبل التفاهم على مرشَّحٍ يوحِّد.

تميّز يوم ١٩٨٢/٨/١٧، بنشاط سياسي مكثّف قام به الرئيسان صائب سلام وتقي الدين الصلح، فالتقيا طوال ساعتين الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل في أحد مكاتب قصر بعبدا الجمهوري. وصدر على الأثر عن المجتمعين بيان أكد على ضرورة إجراء الانتخاب «في جو من الديمقراطية والحرية»، كما أكد اتفاق المجتمِعين على «متابعة اللقاءات توصُّلاً إلى ما يعزز كيان لبنان واستمراره وطناً لجميع أبنائه». هذا الكلام الجميل لم يكن له مفعول عملي. فكيف يتأمّن جو الديمقراطية والحرية في ظل الاحتلال الإسرائيلي لمساحاتٍ واسعة من لبنان وفي ظل الحصار الإسرائيلي الخانق لعاصمة لبنان؟ كان الأحرى أن يكون التأكيد على سلوك طريق التوافُق في اختيار الرئيس الجديد في ظل تلك الظروف. ثم إن اللقاءات بين المجتمِعين لم تتجدد كما دعا البيان.

عشية الموعد المحدد للانتخاب، أي في ١٩٨٢/٨/١٨، انعقد في منزل الرئيس صائب سلام لقاء إسلامي موسّع، ضم نحو عشرين شخصاً بين رؤساء وزراء سابقين ووزراء سابقين ونواب، إضافةً إلى وليد جنبلاط ونبيه بري من زعماء التنظيمات المسلّحة.

دعا اللقاء، في بيانٍ كان الرئيس تقي الدين الصلح أعدَّ نصَّه، إلى مقاطعة أية جلسة قبل التلاقي على مرشَّحٍ وِفاقي.

في نفس ذلك اليوم وافق مجلس الوزراء على خطة مغادرة المقاتلين الفلسطينيين واستخدام القوات الدولية المتعددة الجنسية.

قبل انقضاء النهار، أعلنَت رئاسة مجلس النواب تأجيل جلسة الانتخاب حتى ١٩٨٢/٨/٢٣، ونقْل مكان الاجتماع من قصر منصور، المقرّ الذي اعتُمد للمجلس منذ بداية الأحداث، إلى مبنى الكلية الحربية في منطقة الفيّاضيّة، على مرتفَعٍ من ضواحي بيروت. وعزت السبب إلى الوضع الأمني.

في ١٩٨٢/٨/٢١، غادر الفوج الأول من رجال المقاومة إلى قبرص بحراً، في طريقه إلى تونس، وقد تزامن ذلك مع وصول طليعة القوة الفرنسية التي رابطت مع الجيش اللبناني في منطقة المرفأ.

كنت خلال تلك الفترة أقوم بنشاط، ضمن الإمكانات المتوافرة لي، إسهاماً في المعركة التي كانت قيادات بيروت الغربية تخوضها للحؤول دون انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية. وقد شاركت في بعض هذا النشاط الرئيس رشيد الصلح ومالك سلام. فكنا نقوم بكثير من المراجعات داخل المدينة المحاصَرة معاً، وفي هذا السياق قمنا معاً بكثير من المساعي لصدّ بعض النواب عن المشاركة في جلسة الانتخاب من خلال مراجعاتنا لمفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين. ولقد كان لهذين الزعيمين الروحيَّين معاً، والحق يقال، نشاط مشترك طيب ومرموق طوال فترة الحصار.

وقمت بالاتصال غير مرة بالنائب طلال المرعبي، وكان وزيراً في حكومتي الأخيرة، عندما تناهى إليّ أنه انتقل من فرنسا، حيث كان مقيماً منذ بداية الحصار، إلى اليونان ومن ثَم إلى قبرص بطائرة خاصة تعود لأحد الأثرياء الذين سخّروا أنفسهم لخدمة بشير الجميل في سعيه إلى الرئاسة. وانتقل أخيراً إلى بيروت الشرقية بحراً. فوعدني بالانتقال إلى بيروت الغربية للانضمام إلى الجبهة المعارضة لانتخاب الشيخ بشير. ولمّا لم يفعل راجعْتُه مجدداً، فأكد لي أنه سوف يعبرُ إلى بيروت الغربية في صحبة زميله نائب منطقة عكار سليمان العلي، وهذا الأخير كان من بين الذين شاركوا في اللقاءات التي عُقدت في منزل الرئيس صائب سلام، في سياق العمل على الحؤول دون مجيء بشير الجميل رئيساً. ولكنه انتقل إلى بيروت الشرقية في الأيام الأخيرة بدعوى ملاحقة بعض الأمور العائلية. وأذكر أنني كنت في لحظة من اللحظات في لقاءٍ جانبيّ مع الرئيس صائب سلام والرئيس تقيّ الدين الصلح، وكنا نعدّ لائحة بالنواب الذين سيلبّون دعوتنا لمقاطعة جلسة الانتخاب، فحسب جليساي النائب سليمان العلي من بينهم. وعندما تساءلت عما إذا كان العلي سوف يكون حقًّا من هؤلاء، قال لي الرئيس سلام، وأثنى على كلامه الرئيس الصلح: «أنت

لا تعرف هذا الرجل. إنه من الذين يقفون عند كلمتهم ولا يتزحزحون». وفي مراجعةٍ أخيرة تعهّد لي النائب المرعبي أنه سوف يصحب الرئيسين سلام والصلح في طريق الإياب بعد اجتماعهما والرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل في القصر الجمهوري. ولكنه لم يفعل. وبقي العلي والنائب المرعبي في بيروت الشرقية ليشاركا في جلسة الانتخاب ويقترعا لبشير الجميل.

وحاولت كثيراً أن أقنع النائب عثمان الدنا، زوج ابنة خالتي، صاحبة المبنى الذي كنت أقطن، أن يغادر بيروت الشرقية إلى بيروت الغربية. وكانت ابنة خالتي تساعدني على الاتصال به هاتفيًّا. فما لبّى، ولا حتى عندما توسّلت إليه المجيء ولو فقط للقاء المفتي الشيخ حسن خالد مرة واحدة. فبقي للمشاركة في جلسة الانتخاب والاقتراع لبشير.

وكان لي في الصحف الصادرة صباح ١٩٨٢/٨/٢١، كتاب مفتوح موجّه إلى الرئيس كامل الأسعد، قلت فيه: «أنت تعلم يا دولة الرئيس أية مسافة تفصل بيننا وبينك. إنها مسافة الحواجز والممارسات وأنت تعلم أية حواجز وأية ممارسات.

أنت تعلم أية مضايقات يتعرّض لها المواطن أحياناً كثيرة وأية ضغوط تُمارَس على بعض النواب في حلِّهم وترحالهم.

فهل يجوز مع كل هذا التحدّثُ عن الديمقراطية والاستحقاقات الدستورية؟

هل نُلام إذا قلنا إن من غير الجائز إيهام الناس بأن المعركة الرئاسية هي معركة ديمقراطية حرة في الوقت الذي انتفت فيه أبسط شروط الممارسة الديمقراطية الحرة تحت وطأة الاحتلال وسطوة العنف والسلاح؟ ألا يكفي دليلاً على ذلك أن وجوهاً كريمة كانت تزمع ترشيح نفسها ولم تفعل، فبقي مرشح الجبر وحيداً في الساحة لا يُبارى؟

وهل نُلام إذا اعترضنا على استيلاء طرفٍ من أطراف النزاع على سدّة الرئاسة الأولى خوفاً منا على وحدة هذا البلد وعلى مصير الحرية فيه والديمقراطية؟

وهل نُلام إذا طعنّا بصوابية نقْل مقر الانتخاب إلى عمق المنطقة الواقعة تحت الاحتلال وتحت سطوة مسلَّحي المرشّح الأوحد في آن. هذا إلى كون المنطقة المجددة تقع خارج العاصمة، وفي هذا إخلال دستوري؟

إننا نهيب بك أن تعيد النظر في موقفك من جلسة الانتخاب المقرر صباح الإثنين المقبل.

لا بل أكثر من ذلك، فإننا نهيب بك أن تُبادر إلى الاضطلاع بالدور الذي يؤمّله اللبنانيون منك، بالكفاءة التي عهدوها فيك، وبروح المسؤولية الوطنية الصادقة التي أِلفوها فيك، فتعمل على التوفيق بين المواقف المتعارضة توصُّلاً إلى جمع كلمة النوّاب حول مرشّح وفاقيّ تنعقد حوله إرادة اللبنانيين جميعاً في الوحدة والحرية والكرامة. وعندما نراك تتحرّك في وصل ما انقطع بين القيادات من حوار، عندما نراك تفتح باب المشاورات للتوفيق، فإننا نستطيع آنئذٍ أن نتطلّع إلى بداية المخرج من المأزق الذي يتهدد مصير الوطن بسبب الاستحقاق الرئاسي. وإننا على ثقة من أنك لفاعل».

ـ ٣ ـ

التقيت فيليب حبيب في حضور مساعدِه موريس درايبر والسفير روبرت ديلون، في دارة السفير الأميركي في بعبدا، وبحثت معه على مدى ساعة من الزمن في موضوع انتخابات الرئاسة اللبنانية في كل معطياتها وأبعادها وما يمكن أن يترتّب على نتائجها من احتمالات وانعكاسات على مسار الأزمة ومستقبل لبنان.

كان الحديث صريحاً، وقد تناول مختلف جوانب الموضوع. فاتَحْتُه بالقول: «إذا كنتم يا مستر حبيب تعملون على الإتيان برئيسٍ للجمهورية من المتطرّفين فإنّكم بذلك تشقّون الطريق لتقسيم لبنان وتفتيته».

فبادرني حبيب لتوّه بالقول معترضاً: «نحن لا نأتي برئيس للجمهورية، فهو رجل ينتخبه مجلس النواب، وهذا شأن داخلي لا نتدخّل فيه». فقلت له:

«ولكنك ها هُنا مُقيم على مشارِف بيروت وتتدخَّل يوميًّا في الصغيرة والكبيرة، بما في ذلك مثلاً التوسّط مع الإسرائيليين للسماح بإعادة المياه إلى العاصمة بعدما قُطعت عنها، وإدخال الأدوية والأمصال من شرقي المدينة إلى مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت الغربية، وما إلى ذلك. ولا أخالكم تجهلون مدى التأثير الذي يمكنكم ممارسته على مجرى الانتخابات ونتائجها».

فكرر حبيب اعتراضه قائلاً: «إن في لبنان دستوراً ونظاماً ومجلساً نيابيًّا». فأجبته: «وأنتم أيضاً في لبنان اليوم مع ما يقترن به وجودكم من ظلٍّ وثِقل. ولا أظنّكم إلا ضاغطين على المعركة الانتخابية وقادرين على التأثير في نتائجها. ولنقل، حتى لا نَتُوه في جدل عقيم، إنّني طلبت مُقابلتك لأطرح على مسامعكم كلمة، ولن أخرجَ قبل الإدلاء بها، وعليك أن تسمع ما عندي من قول. عليكم أن تدركوا حقيقةً بديهية تتعلق بانتخابات الرئاسة في لبنان حتى ولو أنّها شأن داخلي لا تقحمون أنفسكم فيه كما تقولون. وهذه الحقيقة هي أنّ لبنان لا يحتمل وجودَ مُتطرِّفٍ في رئاسة الجمهورية».

وهُنا سألني فيليب حبيب: «حسناً، ومَن تعتبر من المتطرّفين؟» فقلت على الفور: «الشيخ بشير الجميّل». فأردف، دون أن يتوقّف لحظة واحدة عند جوابي، كأنّه سلّم بصفة التطرّف لبشير الجميّل: «ومَن أيضاً؟» فقلت لتوّي: «الرئيس كميل شمعون». فاعترضني على الفور ومن غير أن يتوقّف لحظة واحدة هُنا أيضاً: «أتعتبر كميل متطرِّفاً؟ هذا غير معقول». فاستنتجت من قوله ذاك ومن ذكر الرئيس شمعون باسمه الأول تحبّباً، أنّ مرشّح الولايات المتحدة الأميركية للرئاسة اللبنانية في تلك اللحظة لم يكن بشير الجميّل، الذي كان أثيراً عند إسرائيل كما كان يبدو، وإنّما كميل شمعون.

فاختصرت رسالتي لحبيب قائلاً: «لنتجاوز الأسماء ولنكن واضحين حول جوهر المسألة، وهو أنّ سدّة الرئاسة في لبنان لا يجوز أن يحتلّها متطرِّف، لأنّ التطرُّف في ذلك الموقع من شأنه تعريض وحدة لبنان للتصدُّع».

وصباح ١٩٨٢/٧/٢٤، توجّهت للقاء الرئيس كامل الأسعد في مكتبه في مجلس النواب فوجدته مُنزعجاً من لقائه والرئيس رشيد الصلح الذي سبقني إليه

ليبلغه ما كُنّا قد اتّفقنا على إبلاغه، وهو أنّ دعوة مجلس النواب لعقد جلسة انتخاب قبل الاتفاق على مُرشّح إجماع ستكون بمثابة خدمة مجانية للمرشّح الأوحد في تلك اللحظة وهو بشير الجميّل. لذلك فإنّ أي استعجال في دعوة المجلس لانتخاب رئيس جديد للجمهورية سيحملنا على الدعوة إلى مقاطعة الجلسة. وكان الامتعاض بادياً على وجهه من حديثي بعد حديث الرئيس الصلح.

ومساء ذلك اليوم عينه أعلن بشير الجميّل ترشيح نفسه رسميًا لمنصب الرئاسة.

وعندما سُئلت رأيي في ذلك أجبت في تصريح صحافي: «عندما نقول إنّ المطلوب رئيس يقود المرحلة في تحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي وإعادة توحيد لبنان واللبنانيين، وعندما نقول إنّ المطلوب رئيس يكون فوق الخلافات أو النزاعات أو الانقسامات التي مزّقَت لبنان، فإنّنا بالطبع لا نعتبر الشيخ بشير الجميّل مُرشّحنا. فهو وجه أساسي من وجوه الأزمة المدمِّرة التي نتطلّع كلُّنا إلى طيّ صفحتها إلى الأبد مع إطلالة عهد جديد بانتخاب رئيس جديد. وهذه الأزمة لا يمكن أن تنتهي باستيلاء طرف من أطرافها على سدّة الرئاسة دون تعريض المستقبل اللبناني إلى أفدح الأخطار. إنّ مصير لبنان اليوم في الميزان ووحدته على المحكّ».

وفي اليومين الأخيرين قبل الانتخاب تسارَعت الأحداث.

في ١٩٨٢/٨/٢١، زرت الرئيس الوزان في منزله، وصرّحت على الأثر بما كان يعبّر عن الموقف الذي كنا نواجه: «بحثنا في الأجواء التي تحيط بمعركة رئاسة الجمهورية، مستنكرين الممارسات المقيتة المعتمدة في محاولة تمرير انتخاب الشيخ بشير الجميل. فلقد قُطع الاتصال الهاتفي بين شطري العاصمة، وبذلك عُزِلَت بيروت الغربية عن الاتصال مع بقية المناطق اللبنانية، ومُنع عدد من النواب الانتقال من منطقة بيروت الشرقية إلى منطقتها الغربية، كما سُدت في وجههم طريق الشمال وطريق البقاع توخّياً لإبقائهم في تصرّف المرشّح الإجباري الأوحد داخل المنطقة الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي

وتحت الهيمنة الحزبية المسلحة. . . ».

وفي ١٩٨٢/٨/٢٢، تعرّض النائب حسن الرفاعي في بعلبك، مسقط رأسه، لمحاولة اغتيال، فأصيب برصاص في رئته اليمنى ويده اليمنى. وقد صرّح بأن قتله كان سيؤدي إلى إنقاص النصاب المطلوب لجلسة انتخاب رئيس الجمهورية، وأن بشير الجميل، المرشّح للرئاسة، هو الذي يستفيد من ذلك. وقد أجرى، برغم جروحه النازفة، محادثة مستفيضة مع التلفزيون السوري، فأظهر بذلك رباطة جأش نادرة.

وعشية الانتخاب زرت ونَفَرٍ من المشاركين في اللقاء الوطني الموسّع رئيس الحكومة آنذاك الأستاذ شفيق الوزّان وبحثنا معه في الأجواء المحيطة بمعركة الرئاسة مُستنكرين، حسبما أبلغْنا وسائل الإعلام، الممارسات المستهجَنة المعتَمَدة في محاولة تمرير انتخاب بشير الجميّل.

وفي ١٩٨٢/٨/٢٣، انتُخِبَ بشير الجميل رئيساً للجمهورية بأكثرية ٥٧ صوتاً، في حضور ٦٢ نائباً اكتمل بهم النصاب القانوني للجلسة. فتلقّى الرئيس المنتخب برقية تهنئة من الرئيس الأميركي رونالد ريغان، وأخرى، بما في ذلك من دلالة، من رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن.

خلال يوم الانتخاب غادر ٧٠٠ مقاتل فلسطيني إلى عدن، في اليمن الجنوبية، وغادر آخرون في اليوم التالي إلى صنعاء في اليمن الشمالية، وتوجَّهت بعدهم مجموعات أخرى إلى طرطوس في سوريا، وإلى السودان.

نقل التلفزيون اللبناني عملية الانتخاب حيّة ومباشرة من مجلس النواب. وكنت مع عدد من قيادات بيروت الغربية نتابعها على الشاشة الصغيرة في منزل الرئيس صائب سلام. ولما تحقق فوز بشير الجميل بالرئاسة خرجت مسرعاً إلى مكان إقامة عائلتي في مبنى نسيبتي، قرينة النائب عثمان الدنا، الذي كان يشارك في جلسة الانتخاب ويقترع لبشير الجميل. وقد شعرت بالخطر على عائلتي من مغبّة ما حصل. فدخلت أولاً إلى الطابق الأول، حيث كانت تقيم نسيبتي ومعها صهري، سامي الحص، وشقيقتي زينب وأولادهما، وكذلك نسيبنا من آل دعبول، وكان رجلاً مسنّاً مكسور الرِّجل، ومعه زوجته. فدعوتهم

جميعاً إلى مغادرة المبنى فوراً. وصعدت لتوّي إلى الطابق الثالث حيث كنت أُقيم مع ابنتي، وكانت شقيقتي سلوى بجانبها. فأشرت عليهما بالمغادرة فوراً. فهرعا إلى جمع ما تيسّر من مقتنياتنا الشخصية. وتوجّهنا إلى باب المصعد الكهربائي، وكان يعمل على مولّدٍ للكهرباء خاص، وفيما كنا ننتظر المصعد إذا بومضة نور تبهر بصرنا ويعقبها انفجار مدوٍّ هائل، وإذا الغبار والتراب وفُتات الحجارة تنهال على رأسي وظهري، وقد حجبْتُ بجسمي بعضَها عن ابنتي وشقيقتي اللتين كانتا تقفان أمامي. كانت تلك قذيفة آر بي جي حارقة تسقط داخل غرفة صغيرة، في محاذاة مدخل البيت على بُعد بضعة أمتار منّي. وكنت عادةً أستخدم تلك الغرفة بالذات لاستقبال الزائرين خلال إقامتي في ذلك المبنى. فإذا هي هدفُ أولِ قذيفة تُصوَّب إلى المنزل.

هرعت ابنتي تصيح وهي تهبط الدرج مُسرعة: «توقّفوا، توقّفوا، إن والدي هُنا». ولكن أحداً في الخارج ما كان ليسمع صوتها.

وما إن وصلنا إلى الطابق الأول، حتى كان سائر القاطنين فيه يتجمّعون عند مدخل المنزل مع بعض حاجياتهم. وقد حُمل نسيبنا المسنّ حمْلاً إلى الخارج. دعت شقيقتي سلوى نسيبتنا صاحبة المبنى لموافاتنا إلى منزل آخر، فأبت قائلة إنها سوف تتدبّر أمرها بنفسها.

سرعان ما دخل علينا اثنان من المهاجمين، من ذوي اللحى الكثّة. وما إن اقتربا منّي حتى جثا أحدهما أمامي وقبّل يدي معتذراً، وزعم أنّه لم يكن يعلم بوجودي داخل المنزل.

ولما لم يقع نظري على نسيبتي صاحبة المبنى بين المتجمّعين، دخلت منزلها أناديها، ولكنني لم ألقَ جواباً. فخرجت على عجل إلى الملجأ الواقع في الحديقة الخلفية علّها تكون قد لاذت إليه. فلم أعثر عليها. عدت إلى باحة المدخل وناديت على المجتمعين بأن يأتوا بالسيارات استعداداً لمغادرة المكان فوراً، وأن يسألوا الجيران عن مكان وجود نسيبتي. فما إن خطا صهري سامي الحص خارج الباب الأمامي إلى الطريق حتى انهال الرصاص من الجانب الجنوبي فأُصيب برصاصة في خصره طرحَتْه أرضاً. فهرع ابنه حسام زحفاً على

بطنه وجرّه إلى داخل باحة المدخل اتقاء الرصاص.

كانت مجموعة أخرى من المسلحين تتقدّم في اتّجاهنا من الجهة الجنوبية وتتبادل الرصاص مع المجموعة التي هاجمَتْنا. فكان علينا أن ننتظر بضع دقائق حتى تهدأ الحال، قبل أن يُسارع الجميع إلى سياراتهم. وكان على الدركي أحمد الحاج شحادة، الذي كان يقود سيارتي، أن يقود سيارة أخرى نقلت بعض الموجودين. وكان عليّ شخصيًّا أن أقود سيارتي بنفسي، بعدما أُودِع صهري الجريح المقعد الخلفي، فتوجهتُ به إلى مركز الطوارىء في مستشفى الجامعة الأميركية. كان في الطريق يئنّ من الألم، وكنتُ أحاول التخفيف عنه بكلمات تطمئنه إلى قرب الوصول إلى المستشفى. ولدى وصولنا إليها، أُعطي الإسعافات الأولية اللازمة ثم اقتيد إلى غرفة العمليات حيث خضع لجراحة عاجِلة استؤصلت فيها الرصاصة من خصره. وقد سَلِم والحمد لله.

أما شقيقتي سلوى فقد رافقت أنسباءنا، ومعهم الرجل المسنّ، إلى حيث كانوا يقصدون، وعادت لتوّها لتسأل عن ابنة خالتي صاحبة المبنى. فقيل لها إنها لجأت إلى قصر هنري فرعون على الجانب الآخر من الطريق عند سقوط القذيفة الأولى على مبناها. وما إن دخلت شقيقتي حديقة القصر، حتى وقع بصرها على ابنة خالتي تهبط درج القصر وإلى جانبها سيد القصر هنري فرعون. وكانت ابنة خالتي في حالٍ من الانفعال والهلع فيما كان المبنى الذي كنا فيه على الجانب الآخر من الطريق يشتعل. دعتها شقيقتي لمرافقتها إلى منزلها، فتدخّل هنري فرعون بالقول إنه سوف يستضيفها ذلك اليوم ويؤمن إيصالها إلى زوجها في بيروت الشرقية في اليوم التالي. وثنّت هي على كلامه.

في اليوم التالي، جاء في أخبار الصحف أن قنابل حارقة أُلْقِيَت على منازل الرئيس كامل الأسعد والنواب فؤاد لحود وعثمان الدنا ورائف سمارة، وجميعهم شاركوا في جلسة الانتخاب. كما جاء في الأخبار، إلى جانب صورة المبنى الذي كنا فيه يحترق، أن ذلك المبنى كان هدفاً لخمس عشرة قذيفة آر بي جي.